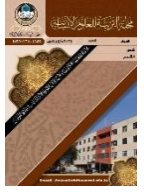




## مجلة التربية للعلوم الإنسانية

مجلة علمية فصلية محكمة، تصدر عن كلية التربية للعلوم الإنسانية / جامعة الموصل



### الحياة والموت في شعر البهاء زهير

احمد خميس كردي <sup>1</sup>

جامعة الموصل / كلية التربية للعلوم الإنسانية / قسم اللغة العربية / الموصل - العراق <sup>1, 2</sup>

المُلخَص	معلومات الارشفة
لا شك أن ثنائية الموت والحياة من الأضداد التي ترتبط ببعضها ببعض وغالبًا لا يكاد يخلو كلام من ذكر الحياة دون المجيء بالموت أو العكس تمامًا، وقد وظف الشعراء هذه الثنائية بأسلوب يعزز من الصورة الفنية للشعر، إذ يأتيون بهذه الثنائيات التي تعزز من بلوغ المراد من لدن الشاعر، وإن ما ركزنا عليه في بحثنا هذا هو ثنائيتا الحياة والموت، ولم نأخذهما من خلال العلامة اللغوية الدالة عليهما مثلما تناولتهما البحوث التقليدية، بل حاولنا الغوص في سبر أغوار النصوص والبحث عن الألفاظ التي حملت معنى الحياة والموت، وأحيانًا أخرى نجد الشاعر قد وظف الحياة والموت في النص نفسه أو في البيت الشعري الواحد، وهذا إن دل على شيء فإنه يدل على تمكن الشاعر من أدواته ومن لغته التي عزز بها النص بهذه الثنائيات	تاريخ الاستلام : 2026/3/11 تاريخ المراجعة : 2026/4/20 تاريخ القبول : 2026/4/26 تاريخ النشر : 2026/6/1 الكلمات المفتاحية : الحياة، الموت، الثنائية الضدية، الشعر، البهاء زهير معلومات الاتصال احمد خميس <a href="mailto:ahmed.kurdi@uomosul.edu.iq">ahmed.kurdi@uomosul.edu.iq</a>

DOI: \*\*\*\*\*، ©Authors, 2025, College of Education for Humanities University of Mosul.

This is an open access article under the CC BY 4.0 license (<http://creativecommons.org/licenses/by/4.0/>).



## Journal of Education for Humanities

A peer-reviewed quarterly scientific journal issued by College of Education for Humanities / University of Mosul



### Life and Death in the Poetry of Al-Baha Zuhayr

Ahmed Khamis Kurdi  <sup>1</sup>

University of Mosul / College of Education for Humanities / Department of Arabic Language / Mosul - Iraq <sup>1</sup>

#### Article information

**Received :** 11/3/2026

**Revised** 20/4/2026

**Accepted :** 26/4/2026

**Published** 1/6/2026

#### Keywords:

life, death, duality, poetry, Al-Baha' Zohair

#### Correspondence:

Ahmed Khamis

[ahmed.kurdi@uomosul.edu.iq](mailto:ahmed.kurdi@uomosul.edu.iq)

#### Abstract

There is no doubt that the duality of life and death consists of opposites that are intertwined with each other, and it is often the case that speech does not mention life without referring to death or vice versa. Poets have employed this duality in a way that enhances the artistic image of poetry, using these opposites to convey their intended message. In this study, we focused on the dualities of life and death. We did not approach them through the linguistic sign that indicates them, as traditional studies have done. Rather, we aimed to delve into the depths of the texts and search for the words that carry the meanings of life and death. At times we find that the poet employs both life and death within the same text of even the same polysemic line. This, if it indicates anything, shows the poet's mastery of these tools and language, which he has used to enrich the text with these dualities.

**DOI:** \*\*\*\*\* , ©Authors, 2025, College of Education for Humanities University of Mosul.

This is an open access article under the CC BY 4.0 license (<http://creativecommons.org/licenses/by/4.0/>).

### التمهيد

تحمل ثنائية الحياة والموت أبعادًا فلسفية ودلالية سنحاول أن نبيّنها من خلال التعريف بهما لغة وكل حسب تعريفه لها ومن ثم نبيّن التعريف اصطلاحًا وسنبداً بالحياة أولاً ونتطرق إلى آراء الكتاب والنقاد في ذلك.

### الحياة والموت لغة:

جاء في لسان العرب لابن منظور أن الحياة ضد الموت وبرز ذلك جليًا بقوله: "الحياة نقيض الموت والحي نقيض الميت.. والجمع: أحياء، والحي كل متكلم ناطق، والحي من النبات من كان طريًا يهتز، وقوله تعالى: (وَمَا يَسْتَوِي الْأَحْيَاءُ وَلَا الْأَمْوَاتُ) (فاطر: الآية 35)، فسرهُ ثعلب فقال: الحي هو المسلم والميت هو الكافر" (ابن منظور، 1995، مادة حيا)

ويقال أيضًا في تعريف الحياة لغة: (حياه) الله أي أبقاه أو ملكه ويقال: حياك وأبقاك (الفيروز آبادي، 2005) ونلاحظ مما سبق أن كلتا التعريف دلّتا على أن الحياة جاءتا بمعنى الأحياء والتحرك وبمعنى آخر الحيوية التي فيها الحركة والاستمرار.

أما الموت فيراد به النهاية وغالبًا ما يعود أصله في كلام العرب إلى الختام والسكون ويقال: كل ما سكن قد مات (و) ماتت النار موتًا: برد رمادها فلم يبق من الجمر شيء وماتت الريح: ركبت وسكنت" (ابن منظور، 1955، مادة موت)، وبذلك يكون الموت الانتهاء في الشيء أي خلاصه فالعمر وإن طال لا بد له من نهاية وبموت نعرف لذة الحياة وأن الموت والحياة من الضداد المتقابلة، والمعروف أن "كل شيء يتولد من ضده، فالعدل ينشأ من الجور، واليقظة من النوم، والنوم من اليقظة، ولا بد أن يتولد الموت من الحياة، والحياة من الموت، وإلا فقد تخالف الطبيعة قاعدتها المضطربة في جميع الأشياء، ويعزز ذلك بقوله: فهناك سبل جديدة تؤدي بنا إلى نتيجة بأن الحي يخرج من الميت، كما يخرج الميت من الحي سواء بسواء" (التكريتي، 1979م، ص 23).

### الحياة والموت اصطلاحًا:

مما لا شك فيه أن الحياة هي ضد الموت والعكس صحيح، وتمثلا ثنائية التقابل في الوقت نفسه والحياة تتمثل في النشأة وولادة الشيء الذي يمر بمحطات ومفترقات طرق، والموت يتمثل بانتهاء الشيء من خلال نهايته وبلوغه المحطة الأخيرة و"حقيقة الحياة والموت تأتي في مقدمة الحقائق التي تواجه الإنسان وتشغله فأن حقيقة أحدهما أو كليهما يشكلها ما يراه الإنسان وما يدركه من تعرضٍ أو تضادٍ أو مفارقةٍ" (عبدالمحسن، 2015، ص 371). والموت هو الحقيقة المطلقة التي لا تقبل النقاش، ويبدأ الإنسان بكره الموت كلما اعطته الدنيا وغرته تراه لا يحب له ذكر ويبتعد عن المجالس التي تُذكر به.

ويعرف الجرجاني الحياة على أنها "صفة توجب للموصوف أن يعلم ويقدر، والحياة الدنيا هي ما يشغل العبد عن الآخرة" (الجرجاني، د.ت، ص 56) ولا شك أن الحياة وملذاتها هي ما يشغل الإنسان عن دينه لا سيما عندما تبتسم له، إذ أن الإنسان يجري دائماً خلف نشوته ومغريات الحياة من تسلط ونفوذ.

والجرجاني أيضاً يعرف الموت على أنه "صفة وجودية خلقت ضدًا للحياة" (الجرجاني، د.ت، ص 129) وفي هذا الأمر لا يختلف اثنان إذا تعد ثنائية الموت والحياة من أكثر الضدية تقابلاً وترابطهما علاقة جدلية فالحياة بوصفها بداية التكوين وبلوغ الغايات بشتى الوسائل، والموت بوصفه النهاية الحتمية لهذا التكوين مهما بلغ الإنسان به من غايات وأماكن.

### نبذة عن الشاعر البهاء زهير:

يعد الشاعر البهاء زهير من شعراء العصر الأيوبي البارزين وقد ظهرت موهبته بعد انتقاله لمصر وقبل الخوض في تفاصيل حياته لا بد من تذكير القارئ باسمه، هو "أبو الفضل زهير بن حجر بن علي بن يحيى بن الحسن بن جعفر بن منصور بن عاصم المهلب العتكي، الملقب ب (بهاء الدين زهير) من شعر الدولة الأيوبية" (ابن خلكان، د.ت، مجلد 2/، ص332) والجدير بالذكر أن العائلة أو السلطة في (قوص) احتوته بعد نبوغ موهبته.

ولظروف خاصة بعائلته "نزحت أسرته إلى مصر وهو طفل صغير لم يتم تعليمه، واختارت مدينة قوص مقاما لها، وكانت مقر أعمال حكومية كبيرة، ومجتمع بعض الأمراء والعلماء والفقهاء. وقد تلقى الشاعر تعليمه بها ثم تنقل بين القاهرة وغيرها من المدن المصرية. فلما تمت تنشئته وظهرت بوادر نبوغه وشاعريته التفت إليه الحكام من ولاية قوص فأسبغوا عليه النعماء وخصوه بكرمهم" (مقدمة الديوان، د.ت، ص8-9) أي بدت السلطة بالالتفاف حوله بعد أن برق نجمه وذاع صيته.

ولا يفوتنا أن نذكر بأن شاعرنا كان ذو خصال كريمة، ومحط احترام من لدن الجميع، وذو مقبولية في مجتمعه يقول فيه ابن خلكان: "كنت أودّ لو اجتمعت به لما كنت أسمع عنه، فلما وصل اجتمعت به ورأيتَه فوق ما سمعت عنه من مكارم الأخلاق وكثرة الرياضة ودمائة السجايا، وكان متمكناً من صاحبه كبير القدر عنده، لا يطلع على سره الخفي غيره، ومع هذا كله فإنه كان لا يتوسط عنده إلا بالخير، ونفع خلقاً كثيراً بحسن وساطته وجميل سفارته" (ابن خلكان، د.ت، مجلد2/، ص233) وكما قلنا واسلفنا كان يحظى بالمقبولية أينما حل نفع.

## المبحث الأول

### الحياة في شعر البهاء زهير

يستمد الشاعر موضوعاته الشعرية من الحياة ووقائعها فنراه تارة يصور الحياة من منظور متقائل يمثل حالته النفسية في سكونها واستقرارها فيما تعكس أشعاره بؤسا ونظرة سوداوية تارة أخرى تعبر عن واقعه المرير من سوء معيشة وفراق أحبة ولذلك لا يخلو ديوان شاعر من التطرق للحياة وتقلباتها بل لا تكاد قصيدة تخلو من ذلك.

في نصٍ مكتمل المشاهد يصور الشاعرُ لنا مشهدًا بين الذات المتمثلة بالإنسان الذي يحاول جاهدًا التمرد على الثوابت، ومنها تقلبات الحياة ومصائب الدهر التي نكرها في أكثر من مفردةٍ وجميعها دلّت عليها ك ( الدهر، الزمن الأيام) وخلاصة ذلك المشهد أنّ الإنسان مسيرٌ في طبيعته فعلام يشكو ويتنمر، وقد كتب الله عليه ما سيرى وما سيمر به، يقول الشاعر في نصّه:

لا تَعْتَبِ الدَّهْرَ فِي حَالِ رِمَاكَ بِهِ      إِنْ اسْتَرَدَّ فَقَدِمَا طَالَمَا وَهَبَا  
حَاسِبِ زَمَانِكَ فِي حَالِي تَصْرُفِهِ      تَجِدُهُ أَعْطَاكَ أضعَافَ الَّذِي سَلَبَا  
وَاللَّهِ قَدْ جَعَلَ الْإَيَّامَ دَائِرَةً      فَلَا تَرَى رَاحَةً تَبْقَى وَلَا تَعْبَا  
وَرَأْسَ مَالِكٍ وَهِيَ الرُّوحُ قَدْ سَلِمَتْ      لَا تَأْسَفَنَّ لِشَيْءٍ بَعْدَهَا ذَهَبَا

(ديوانه، د.ت، ص20)

كما أن الشاعر ذكر أن الدهر (يهب) ومن ثمّ (يسترد) ما وهب، وفي ذلك مقابلة يبرر فيها الشاعر للدهر، إذ أن الثمن دائماً ما يكون لاحقاً ندفعه بمرارة وتحسر مفاده: مثلما أعطانا سيأخذ منا، ويكمل الشاعر نصه بأسلوب فني جميل طغت عليه البلاغة، إذ أن المحاسبة تكون على أساس سلوك أو تصرف يسلكه الإنسان ويحاسب عليه بعدها، وفي ذلك طباق واضح ولا يخفى على القارئ ثنائية (العطاء والسلب) وقد وفق الشاعر في وصفه للحياة وما نمر به من أزمة ورخاء.

ويكمل الشاعر وصفه للأيام التي تمثل الحياة المعاشة، وفي ذلك أيضاً إشارة إلى ثنائية (الراحة والتعب) فلا راحة دائمة ولا تعب زائل، بل هي أيام متعاقبة تدور حسب ما تشتهي، وقد أكد ذلك بقسمه (والله) ولا يخفى على المتلقي الإيقاع الموجود في هذا البيت وما قبله وما بعده.

في البيت الرابع إشارة إلى أن الإنسان سلمت روحه، أي دامت عافيته، فهذا هو رأس المال، وكل ما عداه زائل حتى هي ذات يوم ستغادر جسده، وما يعزز ذلك قول لبيد:

ألا كل شيء ما خلا الله باطل وكل نعيم لا محالة زائل

ولا يخفى على المتلقي ما يحمله البيت من فلسفة في الزهد والتسليم، والابتعاد عن بهرج الحياة وزيفها. ومن ثمَّ يظهر الشاعر لنا في قمة الضياع والسعي وراء مغريات الحياة، إذ يعيش يومه دون التفكير في ما قد يعكر مزاحه أو يلوث صفوة يومه مهما كان ذلك فيفعل ما يرد وما تهوي به نفسه من الزلات بغية أشباع غرائزه فيقول:

أروحٌ ولي في نشوة الحب نظرةً      ولست أبالى أن يقال طروب  
 محبٌ، خليع، عاشق، متهتكٌ      يلذُّ لقلبي كلُّ ذا وَيطيبُ  
 خلعت عذارى بل لبست خَلاعتي      وصرختُ حتى لا يقال مُريبُ  
 وفِي لي من أهوى وأنعم بالرِّضَا      يموت بغيضٍ عادلٌ ورقيبُ  
 فلا عيش إلا أن تدار مدامة      ولا أنس إلا أن يزور حبيبُ

(ديوانه، د.ت، ص 30)

نرى في البيت الأول أن الشاعر بدا متحرراً في وصفه للحياة، متلذذاً بما يعيشه ويمر به في تلك اللحظة تاركاً للأعراف الاجتماعية تقاليداً عازلاً بذلك نفسه مستمتعاً بما يعيشه، منصاعاً لشهواته، وقد عزز ذلك قوله: (ولست أبالى أن يقال طروب) وقد صور لنا الحياة التي يعيشها طرباً وفرحاً للقلب جاعلاً ذاته حرة في اختيار الحياة التي يريدتها ويحاول عيشها.

ويذكر في البيت الثاني مفردات حملت معاني الحياة ك(خليع، محب، عاشق، متهتك) والتي يصف من خلالها مدى تمتعه بتلك اللحظات المعاشة، كما نرى فيها مدى التمرد على الأعراف الاجتماعية من لدنه للفوز باللذات التي لها الأولوية في نظره، وما يثبت ذلك قوله: (يلذُّ لقلبي كلُّ ذا وَيطيبُ) وإنَّ "طغيان الثنائيات الضدية يعطي القصيدة شعوراً بالتوتر يتجلى في إطار الأطراف المتقابلة. فالشعرية تقوم على التوتر، وسيؤثر هذا الأمر في المتلقي حين يتنقل بين المفارقات من مفارقة أخرى" (الديوب، 2009م، ص 23).

ومن ثمَّ يجاهر بأفعاله وما أكد ذلك قوله: (خلعت عذارى بل لبست خلاعتي)، مصرحاً بكيفية التمتع بملذات الحياة، وأنه وضع المضمون على الغلاف كي يبين للمقابل ما وصل إليه من مجون، ونلاحظ توظيفاً للمحسنات البديعية، منها الطباق في مفردتي (الخلع، اللبس) إذ أريد بالأولى خلع حياته وبالثانية ارتداء القبح وما يحمله من معانٍ بكل وضوح تائرًا بذلك على تقاليد مجتمعه، وبعد ذلك يصور لنا مشهداً يجسد فيه معاني الرضا والقناعة، تاركاً للعادل سوء ظنه وما يترقبه من منقصة له ولمن يجب وما عزز ذلك قوله: (وفِي لي

لمن أهوى وأنعم بالرضا)، مؤكداً أن الانتصار للحب الصادق في النهاية، ضارباً بذلك حسد وعدل من حوله والذين يموتون غيظاً براحتة.

وفي ختام نصه يرجع الشاعر إلى ما بدأ به ألا وهو التمتع بالحياة وعيشها كما تهوى النفس، لا كما يريد الدين والمجتمع، وقد وصف لذة الحياة في أمرين هما (الخمرة، الحبيب) والأخير يقصد به الصديق أو المرأة أو القريب من النفس، والشاعر هنا يعبر عن أن الحياة يجب أن تُعاش بجمالها وبما تحمله من ملذات ومغريات لا كما يخطط له المجتمع.

إن جوهر الحياة الصالحة هو التعامل مع الله والبشر بالنية الصادقة والسجية التي ترافق الإنسان منذ بدايته، فتجعله قريباً من ربه ومن الناس، وفي هذا السياق يورد الشاعر نصاً يحمل دلالات حسن النية والإيمان بالقدر في تقلبات الحياة، وأن الأيام التي نعيش فيها مع من نحب مباركة، و "يعبر عن حرارة اللقاء والشوق والمصافحة بعد التحسر والتوجع من بعد الفراق... وبريق النار وما يحمله من حرارة وتأثيرات سلبية، فالشاعر بارع في استخدامه للمتناقضات" (عزيز، 2025م، ص 39) فيقول في وصفه لمحبوته :

إن لي نيّة وقد علم الد له بها وهو عالم النّيّات  
يا حبيبي وأنت أيّ حبيب لا قضى الله بيننا بثّات  
إن يوماً تراك عيني فيه ذاك يومٍ مضاعفُ البركات  
أنت رُوحِي وقد تملّكتُ رُوحِي وحياتي وقد سلّبتُ حَيّاتي

(ديوانه، د.ت، ص42)

في النص (النية، الإيمان بقضاء الله وقدره، بركة وجود الأحبة، التعلق بالأشخاص من حولنا) يثبت الشاعر في الأول أن كل ما يدور في هذه الحياة يعلمه الله، فله ظواهر الأشياء وخفاياها، وفي نصه لا يقصد محبته لخله فقط، بل يتجاوز النص ذلك إلى إثبات أن النية وصفاء القلب هما اللذان يجلبان التوفيق والتيسير، وقد ذكر لفظ الجلالة (الله) في صدر البيت، ومن ثم عاد إليه بالضمير (هو) تأكيداً على علمه الكامل التام بالنوايا.

وفي البيت الثاني كتب متغزلاً بحبيبه الذي يتفرد بنظره عن غيره، وقد ثبت ذلك بقوله (وأنت أي حبيب) واصفاً جمال الحياة بقربه، داعياً الله ألا يأتي بينه وبين من يحب بفراق ويظهر في النص مدى تعالق (الأنا) التي لعب الشاعر دورها ب(الأخر) المتمثل بمحبوبه، ومن خلال استقراء النص يظهر أنه قيل في حضرة

المحبيب، ولا يخفى على المتلقي ما يحمله النص من اتصالٍ روحي جسّد كل معاني الحب، فبدأ بالنداء المتمثل بـ(يا حبيبي) وانتهى بالدعاء بـ(لا قضى الله بيننا بشتات) أي لا أتى الله بما يحول دون اجتماعنا.

بعدها يعود الشاعر ليصف جمال الحياة بقرب الأحيّة، ولربما كان الشاعر ينتظر لقاء من يحب، وإن هذا اللقاء سيكون محملاً بالبركات، ولا يخفى على المتلقي ما يحمله البيت من مبالغة، فقد كان اللقاء أشبه بمكافأة أو هبة من الله وفيه دلالة على حجم ذلك الحب.

وختامًا يظهر الشاعر مدى تعلقه بمحبوبه الذي يرى فيه الحياة، فيصفه بأنه روحه (أنت روحي) أي النفس ومصدر الحياة ثم يكمل بـ(وقد تملكك روحي) وهنا يقصد سائر الجسد وإن دخول (قد) على الفعل المضارع أفاد التحقيق، بعد ذلك يقول: (وحياتي وقد سلبت حياتي) إلى أي مدى وصل الشاعر في الوصف الذي رجّح كفة (الأخر) على (الأنا) مع نفس الأخير وتهميشه، وما يؤكد ذلك قوله: (حياتي وسلبت حياتي) أي الحياة معك فقط وفي حضرتك.

وفي نص آخر يضمن الشاعر معاني الحياة وأيامها، فيبدأ من قول الناس ويميز ما بين الثرثرة والكلام الموزون فيقول:

لعمرك كلُّ الناس لا شكَّ ناطقٌ ولكن ذا يلغو وهذا يُسبِّحُ  
وقد يُحسِنُ الناس الكلامَ وإنما كلامي هو الدر المنقى المنقحُ  
كلام يسرُّ السامعين كأنما لسامعه فيه الشَّراب المفرح  
نسيب كما رقّ النسيم من الصِّبا وغازلُه زهر الرياض المفتحُ  
ومدح يكون الذهر بعض صفاته فيمسي و يُضحي وهو يسري ويسرُحُ

(ديوانه، د.ت، ص 65)

بدأ الشاعر نصه بتوكيد من خلاله ميز أن البشر كلهم قادرون على الكلام، لكن هناك من يلغو وهناك من يتكلم باتزان فشتان بين الاثنين: الأول الذي لا جدوى من كلامه، والثاني الذي ينصت له الجميع لما يحمله كلامه من جواهر وحكم، ومن ثم يعتد الشاعر بنفسه إذ إن النص يحمل الكثير من الأنا وفيه بعض الأنانية، وفي النص تعالٍ على من يعيش الحياة برفقته، ونلاحظ في النص وجود تشبيه بليغ إذ حذف الشاعر أداة التشبيه، ويدل ذلك على مدى اعتزازه بكلماته التي تعكس شخصيته.

يكمل الشاعر ما بدأ به من تعالٍ في البيتين الثالث والرابع فهو يصف كلامه بالشراب المفرح دلالة على سعادة المتلقي عند سماعه، وفي النص تشبيه تام وما جعله معتزلاً بكلامه هذا هو ثقته العالية بنفسه قياساً

بأقرانه الذين يجالسونه ويعيشون الظروف والحياة ذاتها ودلالة أيضًا على كلامه الطيب الذي له وقع في النفوس ثم يصف كلامه بـ (تسيب) دلالة على انسيابه في سمع المتلقي لرقته (رق النسيم من الصبا) أجمل الهواء هو النسيم الذي يشق طريقه من فوق الماء و(الصبا) المحطة الأجمل من مراحل العمر فيؤثر بالمتلقي بقوله: (غازله زهر الرياض المفتوح).

وفي نهاية نصه يصل الشاعر إلى بيت القصيد إذ يشبه الكلام بالكائن الحي الذي يترك إنجازًا خلفه يعمر به ذكره فهو كالآثر يبقى الدهر شاهدًا عليه، فلا يمكن مدح الشخص ما لم يكن أهلاً لذلك أو أن يمدح بمدح زائف لا يدوم طويلًا.

## المبحث الثاني

### الموت في شعر البهاء زهير

لا شك أن لكل بداية نهاية ونهاية الأحياء الموت، وإن قدر الإنسان المحتوم هو الموت فهو "يجيء إلى الحياة ومعه قدره المحتوم/الموت، وهذا ما يجعل الإنسان متقلبًا بين حالات متناقضة، فيتحول من سعادة إلى شقاء، اطمئنان إلى قلق وتوتر، ومن الفرح إلى الحزن...، فمشكلة الموت تعد هي مشكلة الأنا والذات القلقة التي ما تكاد تتفتح على الحياة وتشرع في تذوقها والتزود من مباحجها، حتى تدرك أن التناقض يسردها، وأن الموت هو خاتمة التناقض" (هلال، ٢٠٠٥م، ص ١٣)

وقد كتب الشاعر نصا حمل في طياته كل معاني الموت المعنوي ما بين صور للوداع وذرف للدموع والحادى المسافر الذي دائما يقترن اسمه بالرحيل والفراق ونلاحظ أيضا أن الشاعر وظف الآخر بصفته واشيا ينغص الفرح ذاكرة خوف الحبيب منه يقول فيه

جاءتْ توذَعْنِي والدَّمعِ يَغْلِبُهَا      يوم الرّحيل وحادي البين مُنْصَلِثُ  
وأقبلتْ وهي من خوفٍ وفي دَهَشٍ      مثل الغزال من الأشراك يَنْفَلِثُ  
فلم تُطَقْ خيفة الواشي توذَعْنِي      وَيَحِ الوُشاة لقد قالوا وقد شَمِثُوا  
وقفت أبكى وراحت وهي باكياً      تسيرُ عَنِّي قليلا ثم تلتفتُ  
فيا فؤادي كم وجدٍ وكم حَرَقٍ      ويا زَماني ذا جَوْرٍ وذا عنثُ

(ديوانه: ص ٤٦-٤٧)

" إن رغبته الملحة في البكاء لا تنمُّ إلا عن العمق الذي بلغه القهر في روحه مما يواظب على تذكره بلحظة انطفائية بهية كان قد عاشها ذات مرة، وهو يسترجعها لتلعب دور البهية، التي يتوق إليها الشاعر على الدوام" (اليوسف، 1980م، ص 177) وتتجلى معاني الرحيل في النص من بدايته حتى النهاية، وحملت جميعها دلالة الموت، ونقصد هنا بـ (الموت شعوريًا) لا النهاية المحتومة وبدأ بالعلامات اللغوية الدالة عليها كـ (جاءت تودعني، الدمع يغلبها، يوم الرحيل، حادي البين) فالوداع هو الفراق بلا لقاء وفيه تكون الدموع حاضرة كالموت والرحيل بلا عودة، والمعروف أن (الحادي) يحمل الفراق دائمًا في كل موطن يُذكر فيه، وما يؤكد ذلك الأبيات المتتالية التي يذكر فيها الخوف والحذر ويشبه ذلك بقوله: (مثل الغزال من الأشرار ينفلت) وقد مثلَّ الشوكُ هنا (الموت) وحالة الخوف والفرار من لدن الغزال الذي يمثل الكائنات الحية كافة، ويعقب ذلك وصفه بحذر المحبوبة وخوفها من (الأخر الواشي) الذي ينقل ما يرى وما يسمع، ومن ثم يصف المشهد الذي تحيط به دموع الاثنين، واكتملت دلالة الموت في المفردات: (الوجد، الحرق، الشرق، العنت) وهي ذات معانٍ داخلية وجوهريّة في معنى الفناء التي حملت النص طابع الحزن، وكأنه لا يودع محبوبته فحسب بل يودع الحياة برمتها.

وفي نص آخر طغى فيه الجانب التركيبي يعزز الشاعر من وجود الذات في النص عبر استعماله للضمانر التي ربطت الحياة بوجود المحب وبخلاف وصاله يكون حاله كحال الميت متوسماً وراجياً من الحبيب أن يصله بعد أن أماته بكثرة هجره فيقول:

أنت رُوحِي وقد تملَّكتُ رُوحِي      وحياتي وقد سلَّبتُ حياتي  
مِثُّ شوقاً فأخيني بوصولي      أُخبر الناس كيف طعمُ المماتِ  
وكما قد علمت كلُّ سرور      ليس يبقى، فواتٍ قبل الفواتِ

(ديوانه: ص 48)

في مشهدٍ يحمل بعداً سيميائياً تتشكل فيه (جدلية التجريد/ الانفصال والبعث) يبدأ النص على شكل محاورة بين الشاعر وذاته من جهة، وبين الحبيب الغائب من جهة أخرى؛ إذ لم يكن الموت في النص فناءً بقدر ما كان استلاباً للذات وتحولاً من مالك لحياته إلى مملوك بيد محبوبه ففي قوله: (مِثُّ شوقاً) اتخذ من الموت وسيلة للإحساس بطعم الحقيقة وفيه نقلة من العدم إلى التجربة الحسية، وإن "الشعور بالموت لا يمكن أن يكون شعوراً واعياً كالشعور بالحياة، بل هو شعور غاية في الخفاء، يظهر أحياناً في ظروف خاصة، متخذاً من الأفعنة أو الرموز مرة أخرى ما يضمن اختفائه وإن نَمَّ عليه" (اسماعيل، 1987م، ص 21).

ومن ثم يوظف الشاعر نصا يجسد فيه حال الغريب الذي لا تربطه بالآخرين سوى علاقة الود والعشرة التي جاءت بطول العيش معهم متكرراً إياهم بالوداد الذي بينهم إذ إنه إذا ما مات فلينكروه ويندبوه في رثائه كما يندب الأخ أخاه وألا ينقطع ذكره عنهم بمجرد رحيله إذ قال:

فبالود أذي أمسى	وأصبح بيننا نسبا
إذا ما مِتْ فاندبني	فرب أخٍ أخوا ندبا
وقل مات الغريب فأيد	من من يبكي على الغُربا
قضى أسفاً كما شاء الـ	غراماً وما قضى أربا

(ديوانه: ص ٣٩)

يقوم النص على تقاطع بين (الغربة والفقْد) إذ وظف الشاعر الموت بوصفه انقطاعاً مما جعله يستدعي القول: (الود والنسب) لملء الفراغ بعد الغياب، وقد حول الشاعر الموت من النهاية والفناء إلى مناسبة اجتماعية بقوله: (فاندبني) مصوراً بذلك مشهداً اجتماعياً تسوده أجواء الرثاء الذي يغيب فيه جسد المرثي، ويصور كيف يصبح الموت غربة في قوله: (مات الغريب) و (من يبكي على الغربا) الأمر الذي يعزز من العزلة ويثير التساؤل عن يبكيه بعد موته ويشير إلى خوفه من النسيان والتلاشي، وفي البيت الأخير يقابل الشاعر بين (قضاء الأسف) و (عدم قضاء الأرب) ففي الأول جاء الموت فاحتضرت فيه الأمانى التي اكتمل فيها الألم الشعوري وانكسار الإرادة، وفي الثاني يشير إلى عدم قضاء ما كان يريده ويصبو إليه وبذلك تكون نهاية غرامه الفراق.

إن من محاسن الحياة الكريمة أن يكتب الله لك قبولا لدى من حولك فتعد عند الحضور ويفتقدونك في غيابك ويدعونك إذا ما حلت بهم مناسبة ويواسونك إذا ما حلت بك مصيبة غير أن الشاعر وظف نصا يهجو فيه أحدهم ممن تجرد من كل ما سبق فشبه ثقله بتقل ملك الموت لا يساغ هضمه ولا يجب حضوره فيقول:

وثقيل كَأَنَّمَا	مَلِكُ المَوْتِ قُرْبُهُ
ليس في الناس كلهم	مَنْ تَرَاهُ يُحِبُّهُ
لو ذكرت إسمه على الـ	ماء ما ساغ شربه

(ديوانه: ص 23)

في هذا النص يتقصى الشاعر الأبعاد الرمزية الدالة على الموت في حضور هذا الشخص فنراه ينقل الموت من طبيعته (الفناء) إلى (النفور/ الابتعاد) فقد استدعى (ملك الموت) علامة دالة على الثقل النفسي والجسدي للمهجو، فتغير خطاب النص من موت النفس إلى رثاء الآخر بقوله: (ثقل المهجو) الذي يتقاطع مع ثقل احتضار الموت، فأصبح القرب منه بمثابة القرب من الأخير بانتراع طابع الألفة منه، وقد تجاوز في وصفه وهجائه للأخر لدرجة أنه عندما يُذكر اسمه على الماء ما استساع شربه؛ ليحمله طابع التلوث الذي يسم البدن، وأنه يكدر صفو الماء والحياة بمجرد حضوره، وكانت دلالة الموت في النص مجازية غير محسوسة تمثلت في (ملك الموت/ ليس في الناس من يحبه/ ما ساغ شرب الماء) فالأول يتمثل بالحضور، والثاني قصد منه النفور والتذمر، فيما دل الثالث على سم البدن بمجرد ذكر اسمه.

ومن ثم يكمل الشاعر توظيفه للموت غير أنه في هذه المرة يوظف الموت مقارنة برؤية الآخرين لمحبوته، وصدق قول المثل: (من الحب ما قتل) وقد وظفه بصفته موتاً شعورياً لا بطبيعته البيولوجية التي تكون نهاية كل حي على وجه الأرض فيقول:

أنا في الحبِّ غَيُورٌ      ذاك خُلُقِي لا عَدِمْتَهُ  
أُبْصِرُ الموتَ إذا أب      صر غيري من عَشِقْتُهُ  
لست سَمْحًا بودادي      كل من نادى أجبْتُهُ

(ديوانه: ص ٥٠)

يبدأ الشاعر في الإشادة بذاته وحرصه على ما يمتلك وأن تلك الصفة ملازمة له وأقصد الغيرة على من يحب، وقد وظف الشاعر الموت هنا شعوراً لا فناء مادياً في الربط بين الأنا والآخر وتجسد ذلك بقوله: (أبصر الموت) أي أعيش حالة الموت إذا (أبصر غير من عشقته) إذ كشفت الصورة البصرية ما يروم الشاعر استدعائه بصفته علامة رمزية إذا تعلق الأمر بالمحب، فيصور بذلك الاحتراق الداخلي الذي يعيشه إذا ما تكلم المحب مع غيره أو رآه شخص آخر، فهو مغلق على ذاته وعلى من يحب، وبذلك يجعل الموت قريناً بوجود الآخرين من حول المحب، وقصر الحياة على الانفراد بالمحب دون غيره، وهذا يدل على ما يحمله من عاطفة جياشة تصل حد التهلكة وتحويلها من شعور طارئ إلى موت يفصل بينهما فعل الحبيب بمن حوله ورؤية المحب له.

### الخاتمة

الحمدُ لله نعمدُه ونشكرُه والصلاة والسلام على خاتم الأنبياء والمرسلين محمدٍ (صلى الله عليه وسلم)

وبعد:

فيمكن القول في نهاية هذا البحث إنني خلصتُ إلى جملةٍ من النتائج وهي:

- ١-وظف الشاعر ثنائية الموت بأسلوبٍ سلسٍ اجتمعت فيه جزالة اللفظ وسهولة المعنى.
- ٢-اكثر الشاعر من استعمال الأساليب البلاغية في شعره مما يدلُّ على تمكُّنه من لغته وأدواتها.
- ٣-وظف الشاعر الحياة محملة بطابعٍ سوداوي إذ قرن جمالها وسعادتها بقرب الحبيب الذي لم يجتمع به إلا في موضعٍ أو موضعين.
- ٤-حملت دلالة الموت مجازاً وتمثلت ببعده الحبيب وكثرة فراقه وقد أسهم ذلك في توظيف الموت مجازاً للدلالة على البين والفرقة ومسير الحادي بعيداً عن ديار الأوبة.
- ٥-للشاعر مخزون ثقافي شامل وهذا ما وجدناه في ديوانه إذ وظف ذلك المخزون بصورةٍ فنيةٍ جمعت بين الحركة والسكون فجسدت الأولى مشاهد حيةً ودلت الثانية على الصور الثابتة.

### قائمة المصادر والمراجع

- ❖ ابن خلكان، أبو العباس شمس الدين أحمد بن محمد. (د.ت). وفيات الأعيان وأنباء أبناء الزمان. المطبعة الميمنية. القاهرة. مصر.
- ❖ إسماعيل، عز الدين. (1978م). روح العصر. مؤسسة خليفة للطباعة. بيروت.
- ❖ البهاء زهير. (د.ت). ديوان البهاء زهير. تحقيق: محمد أبو الفضل إبراهيم ومحمد طاهر الجبلاوي. دار المعارف. القاهرة. مصر.
- ❖ التكريتي، ناجي. (١٩٧٩م). الفلسفة الأخلاقية الأفلاطونية عند مفكري الإسلام. دار الأندلس للطباعة والنشر. ساعدت جامعة بغداد على نشره. ط١.
- ❖ الجرجاني، أبو الحسن علي بن محمد بن علي. (د.ت). التعريفات. دار الشؤون الثقافية العامة-أفاق عربية. بغداد. العراق.
- ❖ الديوب، سمر. (٢٠09م). الثنائيات الضدية دراسات في الشعر العربي القديم. منشورات الهيئة العامة السورية للكتاب. وزارة الثقافة. دمشق.
- ❖ الفيروز، آبادي. (٢٠٠5م). القاموس المحيط. مؤسسة الرسالة الناشر. بيروت. لبنان. ط٨.
- ❖ عزيز، أحمد عبود. (2025م). الثنائيات الضدية في شعر الوأواء الدمشقي. دار ماشكي للطباعة. الموصل. العراق.
- ❖ علي، إيمان عبد الحسن. (2015م). "الثنائيات في النقد البنيوي دراسة نظرية تطبيقية". مجلة كلية التربية الأساسية للعلوم التربوية والإنسانية. جامعة بابل. العدد 23.
- ❖ المصري، ابن منظور الأغرقي. (١٩٥٥م). لسان العرب. دار صادر. بيروت. لبنان.
- ❖ هلال، عبد الناصر. (2005م). تراجم الموت في الشعر العربي المعاصر. مركز الحضارة العربية. القاهرة. مصر. ط١.
- ❖ اليوسف، يوسف. (١980م). مقالات في الشعر الجاهلي. دار الحقائق. بيروت. ط٢.
- ❖ علي، إيمان عبد الحسن. (2015م). الثنائيات في النقد البنيوي دراسة نظرية تطبيقية. مجلة كلية التربية الأساسية للعلوم التربوية والإنسانية. جامعة بابل. العدد 23. ص 371.

### List of Sources and References:

- ❖ Ibn Khalikan, Abu al-Abbas Shams al-Din Ahmed bin Mohammed. (n.d). Wafayat al-Ayan wa-Anba Abna al-Zaman. Al-Matbaah al-Maymaniyyah. Cairo. Egypt.
- ❖ Ismail, Ezz al- Din. (1978). Ruh al-Asr. Muassasat Khalifa for Printing. Beirut.
- ❖ Al-Baha Zuhair. (n.d). Diwan Al-Baha Zuhair. Edited by: Mohammed abo al-Fadl Ibrahim and Mohammed Tahir al-Jiblawi. Dar al-Maaref. Cairo. Egypt.
- ❖ Al-Tikriti, Naji. (1979). Al-Falsafah al-Akhlaqiyyah al-Aflatuniyyah inda Mufakkiri al-Islam. Dar al-Andalus for Printing and Publishing. Published with the support of the University of Baghdad. 1<sup>st</sup> ed.
- ❖ Al-Jurjani, Abo al-Hasan Ali bin Mohmmmed bin Ali. (n.d). Al-Tarifat. Dar al-Shun al-Thaqafiyyah al-Ammah al-Ammah Afaq Arabiyyah. Baghdad. Iraq.
- ❖ Al-Dayoub, Samar. (2009). Al-Thunaiyyat al-Diddiyyah: Dirasat fi al-Shir al-Arabi al-Qadim. Publications if the Syrin. General Organization of Books. Ministry of Culture. Damascus.
- ❖ Aziz, Ahmed Abboud. (2025). Al-Thunayyat al-Diddiyyah fi Shir al-wawa al-Dimashqi. Dar Mashki for Printing. Mosul. Iraq.
- ❖ Ali, Iman Abd al-Hasan. (2015). Al-Yhunaiyyat fi al-Naqd al-Binyawi: Dirasah Nadhariyyah Tatbiqiyyah. Journal of the College of Basic Education for Educational and Human Sciences. Unversity of Babylon. Issue 23.
- ❖ Al-Fayruzabadi. (2005). Al-Qamus al-Muhit. Muassasat al-Risalah Publishers. Beirut. Lebnon. 8<sup>th</sup> ed.
- ❖ Al-Masri, Ibn Manzur Al-Afrqi. (1955). Lisan al-Arab. Dar Sader. Beirut. Lebnon.
- ❖ Hilal, Abd al-Nasser. (2005). Trajidiya al-Mawt fi al-Shir al-Arabi al-Muasir. Markaz al-Hadarah al-Arabiyyah. Cairo. Egypt. 1<sup>st</sup> ed.
- ❖ Al-Youssef, Youssef. (1980). Maqalat fi al-Shir al-Jahili. Dar al-Haqaiq. Beirut. 2<sup>nd</sup> ed.

- ❖ Ali, Iman Abdul Hasan. (2015). Binaries in Structuralist Criticism: A Theoretical and Applied Study. Journal of the College of Basic Education for Educational and Human Sciences, University of Babylon, Issue 23, p. 371.